

اليري هوفمان

الحاجة لفهم هذه القضية في إطار أكثر عمقا لفهم المنطلقات التي ينظر من خلالها كل حاكم ومدى تأثير وتأثر الحاكم بالمناخ الديني العام في زنجبار وبحسب الأحداث السياسية وتصارع القوى في فترات الحكم. بل ما هي المنطلقات التي يعتمد عليها الحاكم في فتح أفق الجدل الديني وقوة التدخل والحجب والمنع في حالة التحول من مذهب إلى مذهب أو من دين إلى آخر؟

٢- الباحثة في الكتاب تؤكد على أمر في غاية الأهمية وهو مدى أهمية الدور الذي لعبته حركة التنقل من الوطن الأصلي باتجاه زنجبار، ومن ثم الرجوع إلى الوطن الأصلي؛ فالحضارة مثلا كانوا يتزوجون من نساء المناطق التي يستقرون فيها ولكنهم كانوا يحرسون على إرسال أبنائهم إلى حضرموت من أجل التعلم والتشبع بالقيم الثقافية والروحية المبنية على أسس التصوف وحب الرسول، ومن ثم العودة إلى زنجبار ونجدها -أي المؤلف- في جانب آخر تشير إلى المدى الذي لعبته المرجعيات الفكرية الإباضية القادمة من عُمان في تشكيل وعي كثير من أبناء زنجبار المنتمين إلى المذهب الإباضي. كما تحدّد الباحثة أنّ "موجات الانتقالات بين علماء زنجبار خفتت في القرن العشرين، وبحلول هذا القرن أصبح كل العلماء الذين يدرسون أو يدرسون هم من زنجبار، والذين ولدوا فيها يكون احتمال سفرهم من أجل طلب العلم ضئيلا" (ص: ٢٠-٢١). وهذا مؤشر مهم على ما وصلت إليه الحركة العلمية في زنجبار من استقرار وثبات.

٣- أعطت الباحثة على حالتين إباضيتين كان لهما دور مهم في زنجبار، ولكنها -أي الباحثة- من خلال قراءة الكتاب نستطيع فهم طبيعة كل حالة كما سنرى.

الحالة الأولى تتمثل في الشيخ محمد بن علي المنذري ومن بعده ولده الشيخ علي، اللذين يشكلان امتدادا لعائلة عُمانية راسخة في العلم، ولها جذور ثابتة في المكان الزنجباري. لقد انخرط الشيخان في القضايا السجالية؛ سواء مع أهل السنة من الشافعية في حالة الوالد وفي الرد على النصارى حالة الولد؛ فبالرغم من تمكن وتضلع الأخير في الإنجليزية، كما تجلى في رده على الرسالة السنطورية، إلا أننا نجد أنهما يمثلان الذهنية الإباضية التي تحافظ على الجذور الفقهية والعقدية إلى أبعد مدى.

أما الحالة الثانية، فهي حالة الشاعر أبي مسلم البهلاني لدرجة أنّ الباحثة قد قامت بتوصيفها على أنّ البهلاني يُشكل -بحسب عبارتها- بأنه كان "خليط عجيبي من التناقضات" (ص: ٥١). ومنبع ذلك هو ما انتصف به البهلاني من افتتاحه عن سابقه من علماء الإباضية برغم



حادثة مجيئه إلى زنجبار بعكس الشيخين المنذريين كما أشرنا سابقا؛ فالبهلاني شاعر وفقهه إباضي وصحفي ومتصوف، وله صلات عدة مع رواد الإصلاح في العالم الإسلامي، كما أنه من كبار مناصري بل داعمي الإمامة الإباضية في موطنه الأصلي عُمان؛ فالبهلاني رغم أنه يملك رصيда معرفيا وروحيا يؤهله للنهل من الثراء الفكري الذي كانت تعيشه زنجبار بسبب تكوينه ونضجه الفكري المبكر في عُمان، إلا أنّ البهلاني يمكن اعتباره خير ممثل للذهنية الإباضية القادرة على التجاوز والتجديد مع الإبقاء على الأسس والثوابت العقدية مع محاولة طرح رؤية إسلامية عامة غير مرتبطة بالهوية المذهبية الضيقة.

... إن من الأهمية بمكان أن يتم إيلاء الحركة التي مرت بها الذهنية الإباضية وانفتاحها على التجربة الزنجبارية، ومدى قدرة هذه الذهنية على تجديد سياقات فهم الهوية الذاتية وطرحها في ثوب يتلاءم مع الفضاء الجديد. ومن ثمّ تتبع مسار هذا الانفتاح في حال الرجوع إلى الوطن الأصلي عُمان.

٤- تورد هوفمان في كتابها إشارتين ذاتي دلالة مهمة وهي مدى القدرة على التحاور مع المراجع الفكرية القديمة عند الإباضية، ومن ثم تهذيبها وتقريبها بشكل يتلاءم مع العصر؛ فالشيخ علي بن محمد المنذري قد أُلّف في العام ١٨٦٩ كتابا عنوانه "نهج الحقيقة"، وهو خلاصة لكتاب الاستقامة وهو مرجع إباضي كبير لأبي سعيد الكدومي؛ حيث يبرر سبب تأليفه للكتاب بقوله: «لقد رأيت العديد من إخواننا في الدين يكرهون قراءة كتاب الاستقامة؛ لأنه مليء بالتكرار؛ ولهذا عجزوا عن فهمه. وهذا الكتاب «نهج الحقيقة» يرمي لشرح معاني كتاب الاستقامة بطريقة سهلة وبدون تفريط في أي معنى من معانيه. وفي الحقيقة، فقد

زدت بعض الإضافات" (ص: ٢٩). كما نجد أنّ البهلاني بين سنتي ١٩١٩ و١٩٢٠ قد قام بتأليف كتاب العقيدة الوهبية، وهو كتاب يختصر المسائل العقدية التي ترد في المراجع الإباضية القديمة، وقد خصص البهلاني هذا الكتاب لطلاب الشريعة المبتدئين لفهم الأصول العقدية الإباضية بصورة سلسة وواضحة.

فمن خلال هاتين الإشارتين، ندرك مدى القدرة على إعادة النظر في التراث العُماني واختصاره وإعادة إنتاجه بصورة تخدم حاجات الأجيال الجديدة من الإباضية في زنجبار.

٥- لقد لعبت اللغات العربية والسواحيلية والإنجليزية دورا مهما في الجدل الفكري والحوار العقدي؛ سواء ذلك الذي كان بين الإباضية والشافعية، أو بين المسلمين والمبشرين. وإن لم تكن الباحثة لم تلتفت لهذه النقطة تحديدا، إلا أنّ النظر في هذا الموضوع يفتح الباب واسعاً لفهم الأدوار التي لعبتها تلك اللغات في تلك السجلات الفكرية والعقدية.

٦- شكلت الصحافة وحركة الطباعة عاملين مهمين في السجلات المذهبية والدينية؛ فقد دفع السيد برغش بكل جهده من أجل دعم ونشر الكتب والأفكار الإباضية عبر الصحافة والطباعة. فقد قام المشرون بتوظيف كافة الإمكانيات في سبيل طباعة ونشر الأفكار المسيحية؛ فالصحافة والطباعة كانت وسائل معينة في دعم وتقوية السجل الفكري، ولكن لا شك أنه قد حدث تحول في الوظيفة لاحقا، ومع ذلك يبقى هذا التوظيف العقدي لهما من الأهمية بمكان في فهم الوسائل التي تم توظيفها في تثبيت الهوية الإباضية في الوسط الزنجباري الذي كان يمور بالكثير من التفاعلات والتحويلات، هذا بالطبع إلى جانب توظيف القوة السياسية بطبيعة الحال لدعم وترسيخ هذا التوجه.

تساؤلات بين يدي الكتاب

× عند حديث الباحثة عن حالات تحول بعض المنتمين إلى المذهب الإباضي إلى مذهب أهل السنة، نجد أنّ الباحثة تحيل إلى مصدر واحد وهو كتاب الشيخ عبد الله بن صالح الفارسي، في حين أننا في حاجة إلى مصدر آخر محايد على الأقل يُشير إلى عملية التحول. كما أننا بحاجة لفهم الأسباب والظروف المؤدية إلى هذا التحول.

× بالرغم من أهمية الكتاب، إلا أنه قد تم حصر التفاعلات الدينية في إطار الجدل الذي كان بين الإباضية والشافعية من جهة، والعلماء المسلمين من المذهبيين مع الحملات التبشيرية، في حين أننا نعلم أنّ هناك مذاهب دينية -سواء الإسلامية منها أو الهندوسية... أو غيرها- كانت حاضرة بقوة في زنجبار، ولها خطاباتها ومنابرها. فلربما هناك مقالات أو دراسات أخرى

توضح لحظات التقابل والتفاعل التي تمت بين علماء الإباضية وممثلي تلك التيارات التي أشرنا إليها أعلاه. فهل التفاعلات التي ركزت عليها الباحثة هي التي كانت الأبرز؟ × ركزت الباحثة على الجوانب العقدية التي طرحها العلماء الإباضية في زنجبار، وهي تركز على نتائج علي بن محمد المنذري، دون الإشارة إلى علماء إباضية آخرين ربما كانوا على اشتغال بنفس الجانب أو ساهموا في دفع عجلة الجدل بعيدا.

× هناك بعض الإشارات إلى التصوف في بعض مقالات الكتاب، ونجد الباحثة في (ص: ٥٦) في الكتاب توجه نقدها للمصادر الغربية التي لم تول أي اهتمام بالتجربة الصوفية العُمانية... زد على ذلك أن كل الأعمال الغربية حول الإباضية تجاهلت البعد الصوفي عند الإباضية ولم تذكر الأعمال الشعرية لعلماء عُمان. ولكننا لا نجد دراسة تضاف عند الدور الذي لعبه التصوف في التفاعل والجدل الفكري بين الإباضية والشافعية، ولا نعلم فيما إذا ما كان التصوف قد لعب دورا في عملية تحول بعض العُمانيين من الإباضية إلى المذهب الشافعي.

ملاحظات على الكتاب

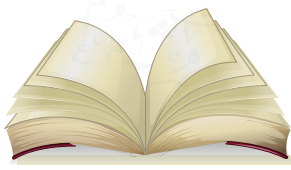
١- بالرغم من أهمية المحتوى، إلا أن عنوان الكتاب قد لا يكون لافتا للقارئ العابر؛ فمقالات مختارة لفاليري هوفمان لا يحيل أو لا يحمل الصبغة العلمية والرصانة المعرفية المتمثلة في محتوى الكتاب، كما قد يكون اسم فاليري هومان غير معروف للكثير من القراء في عُمان؛ فكان من الجيد على الأقل أن يمنح الكتاب عنوان يزيل اللبس عنه لكون العنوان هو نقطة اللقاء الأول بين القارئ والكتاب.

٢- هناك أمر آخر مهم؛ وهو غياب مبرر اختيار هذه المقالات دون غيرها، وإن كان بإمكان القارئ المتخصص بالطبع أن يفهم الرابط بين المقالات بعد الانتهاء من الكتاب، إلا أنه من الأهمية بمكان ومن حق القارئ منذ البداية أن يوضع في المسار الذي جاءت فيه هذه المقالات وأسباب وبواعث الاختيار، ولا حتى مكان وتاريخ نشر هذه المقالات في اللغة الإنجليزية.

٣- ثم إنه أمر غاب عن هذا الكتاب وهو عدم وجود مسرد ببليوجرافي بمؤلفات وكتابات هوفمان؛ وذلك حتى يتمكن القارئ من الوقوف على نتائجها الآخر الذي لم يترجم بعد.

٤- بجانب ذلك، نجد أنّ هناك تعليقات في هوامش (ص: ٧٠ و٦٤) لا ندري إن كانت من صنع المترجمين أو غيرهم.

٥- هناك الكثير من الهفوات في ترجمة بعض الأسماء والعناوين والأماكن، كان من الجيد لو تم إيلاء بعض العناية والتدقيق للخروج بنص خال من العيوب.



مقالات مختارة لف

عوض اللويهي

يحمل هذا الكتاب الرقم ١١ ضمن سلسلة دراسات استشرافية في المذهب الإباضي -الصادرة عن بيت الغشام للنشر والترجمة- والسلسلة هذه تصدر بإشراف من قبل الدكتور عبدالرحمن السالمي رئيس تحرير مجلة التفاهم (التماسح سابقا). وقام بترجمة مقالات الكتاب كل من عبدالوهاب الداب وموحد ومادي. وهذا الكتاب هو الأول الذي يفتح الباب للولوج إلى جهود المدرسة الاستشرافية الأمريكية في قراءة المذهب الإباضي؛ ففي المقدمة التي مهّد بها الدكتور عبدالرحمن السالمي لهذه المقالات، يُشير بشكل موجز إلى الأدوار التي قامت بها الحركة الاستشرافية الأمريكية فيما يتعلق بعمان بشكل عام؛ حيث إنّ لعمان رصيذا يستحق الدراسة في أورشيف الإسرائيلية الإصلاحية الأمريكية، وكذلك في الدراسات التي قام بها القسم الثقافي لشركة الزيت العربية الأمريكية "أرامكو"، هذا غير ما تحفل بها توثيقات وملاحظات الأريكان، الذين زاروا عمان؛ ومن أهمها في ذلك: ملاحظات ويندل فيليبس.

إلى زنجبار. وفي المقابل، نجد أنّ هناك علماء من المناذرة وعلى رأسهم الشيخ محمد بن علي المنذري (توفي ١٨٦٩) ولا تشير الباحثة إلى أي علاقة توتر بين العائلة والسيد سعيد؛ بل إنّ الشيخ محمد، ومن ثم ابنه، كانا مُنخرطين في السجلات العقديّة والكلامية مع علماء الشافعية.

وفي عهد السيد ماجد بن سعيد (حكم في الفترة ١٨٧٠-١٨٥٦)، نجد هناك تسامحا من قبله تجاه الذين تحولوا من المذهب الإباضي إلى السني، بل إنّ السيد ماجد يشجع ويفتح باب الحوار والرد ونجد الباحثة تحيل إلى ما كتبه الشيخ عبدالله بن صالح الفارسي حول ذلك، عندما طلب السيد ماجد من الشيخ علي بن عبدالله المزروع (تحول عن مذهبه الإباضي إلى السني وتسامح معه السيد ماجد) أن يقوم بكتابة رد على (كتاب الخلاصة الدامغة) الذي ألفه الشيخ محمد المنذري والذي ضمّنه جدالا عقديا حول ما ترجمه المدرسة الإباضية لقضايا رؤية الله... وغيرها من الأمور العقديّة والكلامية. أما فيما يخص موقف السيد ماجد من الحركات التبشيرية، فنجدّه يُحذّر المبشرين من محاولة استمالة أي من المسلمين وتحويله عن دين الإسلام إلى المسيحية، بل قام بسجن من تحول إلى المسيحية، في حين أنه تسامح مع النشاط التبشيري الذي تمت ممارسته مع العبيد المحررين.

وفي عهد السيد برغش الذي تولى الحكم في ١٨٧٠، نجد هناك تحولا في الموقف من المتحولين من المذهب الإباضي إلى مذهب أهل السنة، بل إنه قام بسجن عدد ممن قاموا بتبديل مذهبهم. كما نجد في الوقت ذاته أنّ السيد برغش كان له مستشارون مقربون من أهل السنة، كما منح المبشرين الأنجليكان من بعثة الجامعات إلى شرق إفريقيا رخصة لبناء كاتدرائية ضخمة وسط المدينة مكان سوق العبيد الذي أغلقه برغش سنة ١٨٧٣م. فمن خلال ما تم إيراد، نلمح إلى أنّ هناك تغييرا وتبدلا في موازين العلاقة بين السلطة السياسية والأطراف الممثلة للتيارات الإسلامية وهو ما يدعو إلى

الخطوط العامة أو النواخذ التي تم فتحها وتحتاج منا إلى مزيد تعميق وفهم لها، حتى تتمكن من تعلم وفهم المنطلقات التي تستند عليها الباحثة والتفكير في الظاهرة الدينية بشكل أعمق وأشمل.

ومن خلال العناوين، يتضح لنا الاشتغال البحثي الذي قامت به الباحثة وهو هنا الجانب الديني أو التفاعلات الدينية المصاحبة للوجود العماني في زنجبار، هذا التفاعل الذي انطلق من الفترة التي تلت استقرار السيد سعيد بن سلطان في زنجبار واتخاذها عاصمة للملكة في العام ١٨٣٢م، وحينما انتقل تبعه جمع غفير من العمانيين من علماء أو عامة الشعب، ويبدو أنه قد قرّر في ذهن السيد سعيد أن يحيط نفسه بعدد كبير من العلماء من مختلف المذاهب؛ حيث استقطبهم من عمان وسواحل الصومال ولامو وكينيا وجزر القمر. هذا عدا أن زنجبار قد استقطبت طوائف دينية مختلفة من البهرة والإثنى عشرية والبهائية والصابئة والبوذيين وعبدة النار والهندوس، هذا بجانب وجود السكان الأصليين الذين يعتقدون أديانا إفريقية المنشأ أصلا. كل هذا المزيج العرقي والديني لا محالة أنه قد أنتج تفاعلات وساعد على إيجاد حالة من الوئام والتعايش السلمي في زنجبار القرن التاسع عشر، وهذا ما سنقرأه في هذا الكتاب.

ومن المهم هنا التطرق للنواخذ التي فتحتها مقالات الكتاب في إطار الرؤية الكبرى للكتاب ككل، وهذه النواخذ هي نتاج خلاصة قرائية ككل وليس لكل مقالة على حدة:

١- نجد أنّ موقف السلطة السياسية يتفاوت من تيار إلى آخر ومن حاكم لآخر؛ فبينما كان السيد سعيد يسعى لاستقطاب العلماء من كل المذاهب الإسلامية ومعاملتهم على السواء؛ فهو يأمر بتعيين القضاة بحسب المذهب الذي ينتمي إليه رعايا كل منطقة. إلا أنّنا فيما يخص علاقة السيد سعيد بالإباضية -خصوصا الشيخ ناصر بن أبي نبهان- نجد أنّ الباحثة تشير إلى أنّ هذه العلاقة قائمة على التوتر الذي كان منشأه في عمان قبل انتقال السيد سعيد

الإباضية المعاصرة، وقد كان التصوف مدخلها لدراسة العقيدة الإباضية المعاصرة؛ حيث بدأت رحلتها العلمية من شرق أفريقية إلى سلطنة عمان؛ وذلك بصورة معاكسة عما هو مألوف. كما تمزج هوفمان في دراساتها الأكاديمية بين التاريخ والأنثروبولوجيا والعلوم العقدية، وبدا يتكون مزيج جديد من الدراسات العقدية الممتعة والتي تعيننا في فهم القضايا اللاهوتية المعاصرة بصورة سليمة.

وضمّ الكتاب بين دفتيه دراسات ونظرات فاحصة لطبيعة التفاعل الديني للوجود العماني في زنجبار في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين؛ حيث ناقشت طبيعة العلاقة بين العلماء الإباضية والشافعية، وكذلك طبيعة التفاعل مع الخطاب التبشيري الذي كان في بداياته في تلك الفترة في شرق إفريقيا.

مقالات الكتاب تنقسم إلى قسمين رئيسيين؛ لهما عنوانان مستقلان؛ هما:

١- التفاعل بين علماء الإباضية والسنية في زنجبار القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.. ويتكون هذا القسم من مقالات تحمل العناوين الآتية:

- أصول ومميزات المذهب الإباضي.
- حكم آل سعيد في زنجبار.
- اعتناق بعض الإباضية للمذهب السني.
- دفاع المنذري عن الإباضية.
- التفاعل السني الإباضي.
- خاتمة.

٢- جاء القسم بعنوان: المذهب الإباضي.. واشتمل على تقديم وخاتمة ومقالتين؛ هما:

- تموقع الهوية الإباضية في عمان الحديثة وزنجبار.
- التفاعل الإسلامي المسيحي في زنجبار القرن التاسع عشر.

وقبل الدخول في عوالم قراءة هذا الكتاب، من المهم التنبيه إلى أنّ هذه القراءة معنية بالوقوف عند الخطوط العامة التي تمت إثارتها في المقالات التي وردت في الكتاب بقسميه؛ حيث إنّنا لن نتوقف عند كل مقالة على حدة، بل سيكون التركيز على تلك

يُشكل العام ١٨٣٢ علامة فارقة في العلاقة العمانيّة-الأمريكية؛ حيث تم توقيع الاتفاقية الدبلوماسية المشتركة بين الطرفين؛ فبسبب هذه الاتفاقية التفت الأمريكان إلى الأهمية التي تحتلها زنجبار، كما أنّ زنجبار كانت البوابة التي ولج منها الاستشراق الأمريكي لدراسة عمان. ومن أهم الدراسات التي درست التاريخ العماني ما قام به روبرت لاندن في كتابه «عمان منذ ١٩٥٦»، والذي صدر في نهاية الستينيات من القرن الماضي. في السبعينيات، ومع انتشار بعثات السلام ومنح «فلبرايت»، برز ثلاثة باحثين أمريكيين عاشوا في عمان، وكانت لهم دراسات وعلاقات بسبب طول مدة الإقامة فيها؛ وهم: الزوجان كرستينا وديل إيكلمان، وجون بيترسون.

قامت كرستينا إيكلمان في نهاية السبعينيات بعمل دراسة إنثروبولوجية عن ولاية الحمراء. أما زوجها ديل إيكلمان، فهو من المتخصصين في الدراسات الإنثروبولوجية، وتحديدًا في إنثروبولوجيا الإسلام في كلية ديرموت بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد سبق لديل أن أنهى أطروحته المهمة عن علاقة المعرفة بالسلطة في المغرب؛ حيث درس فيها العلاقة المشتركة بين العلماء المالكيين والعائلة الملكية العلوية. وقد أجرى ديل عددا من الدراسات المتعددة عن عمان نشرت في دوريات علمية مختلفة.

ويُعتبر جون بيترسون واحدا من أبرز المتخصصين الأمريكيين في الدراسات التاريخية الخليجية المعاصرة، وتركزت كتاباته عن تاريخ عمان المعاصر في القرن العشرين، وهو كاتب مستقل ومقيم في أريزونا، ولكنه قبل ذلك أقام فترة طويلة في عمان مكنته من الاطلاع الواسع على الوثائق والأرشيفات.

أما كاتبة المقالات المنشورة ضمن هذا الإصدار، فهي البروفيسورة فاليري هوفمان، والتي تعمل في قسم اللاهوت بجامعة إلينوي.. أقامت فاليري في السلطنة في نهاية التسعينيات من القرن المنصرم. ولها اهتمامات متنوعة؛ منها: عنايتها بالعقيدة